

نداء الى كل البشر

من أجل السلام والحرية والديموقراطية

د . عصمت سيف الدولة

أيها الناس ، من كل الشعوب ، من كل الأجناس ، من كل الألوان ، من كل الأديان ، فى كل مكان ، انتبهوا ، تأملوا ، اعدلوا ، ولو مرة واحدة ، من أجل السلام والحرية والديموقراطية لكل البشر الآن والى الأبد .

منذ أن انتهت الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥ بقذيفة نووية صنعها شيطان وألقاها مجنون ، فأهلك بها فى لحظة مئات الألوف فى هيروشيما بعد أن قد أهلكت الحرب عشرات الملايين من البشر عسكريين ومدنيين رجالا ونساء وشبابا وأطفالا ، أصبح حلم البشرية ، كل البشرية ، ألا يتعرض الرجال والنساء والشباب والأطفال ، فى أى مكان ، فى أى زمان ، لمثل تلك المجزرة الوحشية التى يسمونها الحرب .

من أجل هذا كان لابد من أن تلغى الى الأبد شريعة الغاب ، حيث تنعدم المساواة بين الكائنات وحيث تؤدى المنافسة الحرة على الحياة الى افتراس الأقوى من هو أضعف منه . كان لابد من أن تلغى الى الأبد التفرقة بين البشر حسب أجناسهم أو أديانهم أو ألوانهم أو لغاتهم ، كان لابد من المساواة بين الناس . كان لابد من المساواة بين الدول . فكان لابد للبشر من أن يحتكموا اذا تنازعت الى قواعد عامة مجردة تحكمهم وتحكم فيما بينهم . وكان لابد للدول أن تحتكم اذا تنازعت الى قواعد عامة مجردة تحكمها وتحكم فيما بينها .

وكان كل البشر يريدون أن يتجنبوا العنف والخوف من العنف .

ولقد بدأ التعبير عن هذه الارادة الإنسانية العامة قبل أن تنتهى الحرب . ففي ١٤ أغسطس ١٩٤١ (أثناء الحرب) اجتمع روزفلت رئيس الولايات المتحدة الأمريكية وتشرشل رئيس وزراء انجلترا على ظهر البارجة " برنس اوف ويلز " واصدرا تصريحاً ذائع الصيت عرف باسم " ميثاق الاطلنطى " جاء بالفقرة السادسة منه أن الرئيسين يأملان " بعد القضاء على النازية " فى أن تتمكن جميع الأمم من التحرر من الخوف والعوز ومن الحياة فى ظل السلم والأمن الدولى . وفى أول يناير ١٩٤٢ صدر تصريح باسم تصريح الأمم المتحدة " مشروع الميثاق " ، وكان خطوة ثانية الى تحقيق حلم البشرية ، ولكن قوة الشر والدمار والخوف ، عدوة السلام والانسان ، الولايات المتحدة الأمريكية ، اعترضت تلك الخطوة باقتراح عقد حلف عسكري دائم بينها وبين الاتحاد السوفيتى ودول الكومنويلث البريطانى على أن يضم جمهورية الصين فيما يتعلق بالشئون الآسيوية للاشراف على تنفيذ معاهدة الصلح التى سوف تفرض على المانيا واليابان وايطاليا تنفيذها كاملا .

ولقد رفضت كل الدول ذلك الاقتراح لأن سائر دول الأمم المتحدة سواء كانت من الدول الوسطى أو الصغرى سوف تخضع بمقتضاه لنظام ديكتاتورى تفرضه عليها الدول الأربع

العظمى وهو ما لا يمكن أن ترضاه لنفسها الدول التي اشتركت في القتال لنصرة الديمقراطية .
ولأن هذا الاقتراح اذا قدر له التنفيذ لن يفيد الامعنى واحدا هو احلال نوع جديد من الديكتاتوريه
محل الديكتاتوريه المحورية .

فتراجعت أمريكا الى حين .

الى حين أن اختلى ستالين وتشرشل ورزفلت بأنفسهم فى يالتا يوم ١١ فبراير ١٩٤٥ واتفقوا
على أقتسام مناطق النفوذ فى العالم ، ثم اتفقوا ، على أن تكون ارادة البشر فى كل الأرض كما
تمثلهم الهيئة العامة للأمم المتحدة ، وارادة هيئتهم التنفيذية التى يمثلها مجلس الأمن ، غير نافذة ،
الا اذا وافقت عليها خمس دول مجتمعة : الولايات المتحدة الأمريكية ، والاتحاد السوفيتى ،
والمملكة المتحدة ، وفرنسا ، والصين .

لم يكن من الممكن أن تقبل دول العالم ، وهى مجتمعة فى سان فرانسيسكو فى ابريل ١٩٤٥
لصياغة دستور قائم على أساس من المساواة بينها كما نص الميثاق ، أن تحتكر دولة أو أكثر من
دولة سلطة تملو على ارادة البشر جميعا . وقد عبرت كل الدول ، من غير المحكرين ، على
رفض مؤامرة " يالتا " .

فما الذى حدث ؟

أعلنت الولايات المتحدة الأمريكية صراحة أن عدم موافقة المؤتمر على ماتم الاتفاق عليه بينها
وبين الاتحاد السوفيتى والمملكة المتحدة فى " يالتا " ستكون نتيجته الحتمية امتناع الولايات
المتحدة الأمريكية عن التصديق على ميثاق الأمم المتحدة .

بهذا التهديد الصريح فرضت الولايات المتحدة الأمريكية ، التى تتحدث كثيرا عن الشرعية
الدولية والسلام العالمى ، وحقوق الانسان ، فرضت أن تكون ارادتها فوق ارادة كل الشعوب
والأمم والدول والبشر فى العالم كله .

منذ ذلك الحين ، لم تتوقف الحروب والثورات والعنف على ظهر الأرض ، وحيث لا يوجد
دستور ، ولا قانون ، ولا مساواة ، ولا عدالة ، لا بد من العنف . وتقوم الولايات المتحدة
الأمريكية منذ نصف قرن بدور الطاغية المستبد فى المجتمع الدولى . ولقد مضت فترة من
الزمان كان تنافس الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة الأمريكية فيها على الاستبداد بالأمم
والشعوب والدول ، يتيح للمستضعفين الذين هم كل البشر ثغرة لكسب قدر من الحرية ، قدر من
المساواة ، قدر من العدالة فى مقابل أن يكونوا تابعين لأحد الطاغيتين . ولقد استفادت دول كثيرة
متوسطة وصغيرة بل وكبيرة من التناقض بين الدولتين العظميين ، الى أن انسحب جورباتشوف
من حلبة المنافسة وانحاز الى الولايات المتحدة الامريكية ، لتتوحد قوى الديكتاتوريه المفروضة
على العالم .

وكان لا بد مما ليس منه بد ،

أصبح على كل الأمم والشعوب والبشر فى كل الدول المقهورة أن تختار بين أمرين لاثالث لهما : اما أن تقبل مذلة الخضوع للارادة الامريكية ، واما أن تقاتل من اجل الحرية والمساواة والعدالة والسلام .

ولقد اختارت الأمة العربية القتال وستنتصر لأنه قتال اليائسين من الحياة الحرة الكريمة .
اليائسين من العدالة الدولية . اليائسين من سلام البشر لاسلام أمريكا ..

ومع ذلك قد . لانتتصر . فليكن . سنموت . فليكن . مالذى نخسره الا مذلة الحياة فى ظل الطغيان الأمريكى .

أيها الناس . انتبهوا . تأملوا . اعدلوا ولو مرة واحدة .

وثقوا أننا نحن العرب نفضل الفناء الكامل الشامل على الخضوع للولايات المتحدة الأمريكية فليكن المنافقون عن الأشفاق الكاذب على مصيرنا . سنمارس حريتنا ولو بالموت .

أنتم أيها الناس ، تبحثون عن حل سلمى ..

لايمكن أن يوجد حل سلمى لما أسمته الولايات المتحدة الأمريكية أزمة الخليج ، مادامت أزمة الشرعية الدولية مازال مستحكمة . وحين تحل أزمة الشرعية الدولية فسندكم الى ميثاق الأمم المتحدة ، وهيئتها العامة ، ومجلس أمنها ، وسننفذ ارادة المجتمع الدولى حتى لو لم تتفق مع ارادتنا ، قد نخسر قضية ولكننا نكون قد كسبنا لكل الشعوب قضيتها وقضيتنا ...

نحن نقدم اليكم ، أيها الناس ، حل أزمة الشرعية الدولية الآن ، والى الأبد ، الغاء سلطة "الفيتو"

لتكون السيادة على الأرض لكل الدول على قدم المساواة . لتخضع الأقلية للأغلبية من أجل السلام . ليعود الميثاق دستورنا لنا . ولتعود الجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة برلماننا لنا . ليكون مجلس الأمن حكومة لنا ..

حينئذ سنقبل قرارات برلماننا ، ونخضع لما تقررته حكومتنا نحن البشر ..

والا ..

فقاتلونا يقتلكم الله بأيدينا ..

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،،

دكتور / عصمت سيف الدولة

القاهرة فى ٧ يناير ١٩٩١